الفصل السابع عشر

دور الكتاب المدرسي وجودته في الكويت

ليلى خلف سبعان(*)

ملخص: تركّز هذه المداخلة على أهمية الكتاب المدرسي كمصدر للعلم والمعرفة لدى المتعلم وكأداة تتجسد فيها الأهداف التربوية التي يتضمنها المنهج الدراسي لهذا البلد أو ذاك، كما أنها توضح الطرق الصحيحة في تأليف الكتاب المدرسي مثل التنظيم الجيد للكتاب وفصوله، وترابط موضوعاته وتماسكها، فضلاً عن ترابط الكتاب مع الكتب الأخرى في المادة نفسها. كذلك لا بد من مراعاة معيار التوازن في تناول الموضوعات الدراسية بحيث ينال كل موضوع ما يستحقه من عناية المؤلف دون إفراط أو تفريط. ومن المعايير الأخرى التي يجب مراعاتها أن تكون مادة الكتاب وظيفية ترتبط بواقع التلميذ ومجتمعه وأن يتسم مضمونها العلمي بالحداثة وأن تكون لغة الكتاب سليمة بسيطة تخلو من التعقيدات اللغوية مع عناية خاصة بالمصطلحات العلمية.

مقدمة

إن الكتاب المدرسي هو من أهم مصادر العلم والمعرفة لدى المتعلم، إذ يعتبر الصورة الواضحة لجملة من الحقائق والمعارف التي يراد توصيلها إلى الأبناء الطلبة، من خلال أسلوب يتمثل فيه الوضوح والدقة والتركيز، والشرح والتبويب، والتبسيط كلما دعا الأمر إلى ذلك، وقد يطرح بعض المشكلات التي تثير المتعلم، وتحفزه لإيجاد الحلول المناسبة لها، وبذلك يثير الكتاب الدافعية لدى الأبناء للبحث والدرس والتفكير من أجل الوصول إلى المعرفة، ويمكنهم من تحديد السبل في التعامل مع ما يواجههم في الحياة.

(*) عضو هيئة التدريس في جامعة الكويت ومستشار قطاع المناهج في وزارة التربية، الكويت.

وللكتاب المدرسي أهمية خاصة في العملية التعليمية وتتجسد هذه الأهمية في كونه أحد الأركان الأساسية فيها، فهو الذي يقع على عاتقه عبء تحقيق الأهداف التربوية باعتباره يمثل الترجمة الحقيقية لمفردات المنهج الدراسي، ويجعل منها أمرا مقننا ومحدداً. ولا بد من الإشارة إلى أن هذا العصر وما فيه من تقدم ملموس وتطور ملحوظ في مختلف مجالات الحياة، وأن هناك عدة وسائل وأساليب يمكن الاعتماد عليها في العمل التربوي، إلا أن ذلك لا يقلل من قيمة الكتاب المدرسي، أو يلغي دوره لأن له من الأهمية بحيث لا يمكن الاستغناء عنه، لكنه يستفيد منها، ويتكامل معها، وينسجم في إطارها، من خلال الاستفادة المباشرة من هذه المعطيات الجديدة التي دفعته إلى نوع من التطور والرقي ليؤدي دوره بشكل أمثل وأفضل.

ومن هذا المنطلق فإن للكتاب المدرسي جملة من المواصفات التي يجب أن تتمثل فيه، حتى يستطيع أن يؤدي دوره تجاه أبنائنا الطلبة. لكننا قبل الدخول بتحديد هذه المواصفات ودراستها لا بد لنا من أن نؤكد على أمور عدة في أي كتاب مدرسي، أهمها أن يلتزم الكتاب بتوجهات التربية، ويسعى إلى تحقيق الأهداف التربوية، والطرق والأساليب المتبعة وفق رؤية شاملة واضحة.

أولاً: طريقة الكتاب المدرسي

يقصد بطريقة الكتاب المدرسي الخطة التي يضعها المؤلف لتحقيق الأهداف المنشودة، وهي بذلك تحدد لهذه الأهداف الأساليب المطلوبة وتنظم العناصر المختلفة التي يضمها الكتاب وتوجه النشاطات وأساليب التقييم، ويراعى في ذلك أن تنبثق الطريقة من فلسفة تربوية سليمة ووضوح الفلسفة التربوية لدى المؤلف بعينه حتى يلتزم بما هو مطلوب، وعدم التناقض في عرض المادة، ويفضل أن توضح فلسفة الكتاب في البداية بأسلوب مبسط كي يتفهمها كل من المعلم والتلميذ. وتراعى الطرق الجيدة في التأليف ما يلي:

١. التنظيم الجيد، ويتضمن تقسيم الكتاب إلى فصول متوازنة تتناول موضوعات محددة، يراعى فيها الترابط والتماسك تحقيقا لوحدة الفكر والمعرفة وتكاملها.

٢. تحقيق مبدأ تماسك الخبرة واستمراريتها، فالخبرة لا تبنى من فراغ وإنما على ما سبقها، وتمهد إلى الخبرة اللاحقة، لذا يجب أن ترتبط بالخبرات السابقة

للتلميذ، وهي تبدأ من حيث انتهت الخبرات السابقة تمده بمهارات جديدة ومناسبة منها، وتسهم في التمهيد للدراسات التالية.

٣. وتهتم الطريقة بتقويم نمو التلاميذ إذ لا بد أن يتضمن الكتاب ما يساعد المعلم على تقويم نمو تلاميذه في مجال الأهداف التي يسعى نحو تحقيقها، كما يتضمن ما يساعد التلاميذ على تقويم أنفسهم واكتشاف نواحي القوة والضعف لديهم بحيث تحتوي الأسئلة في اختيارها على تناول جوانب الفهم والتطبيق وإثارة دافعية المتعلم، والأسلوب العلمي في حل المشكلات.

ثانياً: مادة الكتاب المدرسي

إن مادة الكتاب هي المحور الأساسي الذي تدور حوله جملة العناصر المكونة للكتاب كالطريقة والتوضيح والتأليف والإخراج، لذا ينبغي أن تخضع لمواصفات علمية نوجزها بما يلي:

١. إن مادة الكتاب ترجمة مناسبة للمقرر الدراسي: فالكتاب يؤلف لخدمة مقرر معين، يقوم على أساس من الترابط مع غيره من المقررات السابقة واللاحقة في المجال نفسه والترابط الوثيق مع غيره من المقررات. لذا يجب أن يلتزم بمفردات المقرر ولا يخرج عنها ولا ينقص منها.

٢. أن تكون مناسبة لمستوى نضج الدارسين: ويقصد بمناسبة المادة أن لا تعلو فوق مدارك الدارسين فتؤدي إلى ضعف ثقة التلميذ بنفسه وشعوره بالعجز والثقل، ولا تهبط في الوقت ذاته دون المستوى فيشعر التلميذ بتفاهة المادة.

٣. أن تكون مناسبة لخطة الدراسة: فالكتاب يوضع لتنفيذ خطة معينة محدد لها ساعات أسبوعية وفق ميزان دقيق، لذا يجب أن تغطي الموضوعات ما خصص لها من ساعات فلا تزيد على حساب غيرها من المواد أو على حساب النشاطات المرافقة للموضوع. ويجب أن توجه لتحقيق أهداف التربية. وفي الوقت نفسه اختصار المادة العلمية قد يؤدي إلى صعوبة فهمها أو ضحالتها.

٤. أن تكون متوازنة في تناول الموضوعات: ويعني ذلك أن ينال كل موضوع ما يستحقه من عناية المؤلف دون إفراط أو تفريط (أن لا يبالغ الكتاب في تناول موضوع معين بسبب تخصص المؤلف أو ميله، ويهمل الموضوعات الأخرى).

٥. أن تكون مادة الكتاب وظيفية: ويقصد بالوظيفة أن تكون المادة معينة على

تحقيق نمو الفرد، ويتطلب ذلك ارتباطها بواقع المجتمع وخططه التنموية ومشكلاته.

٦. أن تتسم المادة بالحداثة: لا بد أن يساير الكتاب روح العصر والمتغيرات الثقافية والاجتماعية، وأن يجمع بين الأصالة والتجديد للمحافظة على التراث الثقافي وهوية المجتمع المحلي، على أن توثق المادة العلمية بالمراجع والمصادر.

ثالثاً : لغة الكتاب المدرسي

لغة الكتاب هي الأساس في الكتاب المدرسي والدعامة الأساسية له، وعليها يتوقف مدى استيعاب الطالب ومعرفته للأفكار والمفاهيم، لذا يجب الاهتمام بها لتؤدي وظيفتها، وتحقق الفائدة المرجوة منها، وأن تسهم في رفع المستوى اللغوي للتلاميذ. لذا يجب مراعاة التالي:

١. أن تكون اللغة سليمة: ويقصد بسلامة اللغة خلوها من الأخطاء ومراعاتها لقواعد النحو والصرف والبلاغة والبيان. كما يجب أن تكون اللغة مناسبة لمستوى نضج الدارسين، وتراعى النمو اللغوي كعملية تدريجية ومستمرة تتوقف على ما لدى الدارسين من خبرة وتجارب سابقة، لذا ينبغي أن تتسم بالمواصفات الآتية:

- البساطة والوضوح والسلاسة.
- تخلو من التعقيدات اللغوية والمعنوية.
- الجمل معقولة بطولها مع مراعاة علامات الترقيم.
- أن تنظم في فقرات مناسبة، وأن تتناول الموضوع وتحيط بالأفكار المراد تقديمها، وتعنون بطريقة صحيحة.

٢. أن تعطي عناية خاصة للمفردات الجديدة والمصطلحات العلمية، على أن تقترن اللغة بما يوضح المعاني، ويساعد على إدراك المفاهيم موزعة على الكتاب بصورة معتدلة تراعي توحيد المصطلحات والرموز العلمية.

رابعاً: توضيح الكتاب المدرسي وشموليته

يعتمد الكتاب في توضيح المادة على اللغة، ولكن بعض المواد تحتاج إلى توضيح أكبر قد تعجز عنه اللغة، وهناك موضحات أو وسائل متعددة يستعين بها المؤلف منها الصور - الأشكال التوضيحية - الرسوم البيانية - الجداول - الخرائط.

ولهذه الموضحات معايير يجب أن تراعى وهي:

١. مناسبتها لمستوى التلاميذ وخبراتهم.

٢. أن تكون وثيقة الصلة بالمادة المقدمة.

٣. الاستعانة قدر الإمكان ببيئة التلميذ ومجتمعه.

٤. أن تعين على التعلم والتوضيح، ولا تزحم بالعناصر التي من شأنها تشتيت الأفكار، ولا تعين على تحقيق الهدف.

٥. أن تكون في مكان قريب من المادة التي ترتبط بها.

٦. أن يكون لكل صورة أو شكل عنوان يوضح العناصر التي يستهدف توضيحها ورقم يسهل الرجوع إليها.

٧. أن تشغل الحيز المناسب من الكتاب، فلا تكون من الصغر بحيث يصعب تفحصها أو من الكبر بحيث تضيع معالمها.

٨. أن تركز على الخصائص والأفكار التي يراد توضيحها.

٩. أن تتنوع بحيث تراعى الفروق الفردية وتنوع الميول والاستعدادات.

١٠. أن تكون من الكفاية بحيث تخدم المفهوم بصورة صحيحة.

١١. أن تتضمن المقدمة تعريفاً بموضوع الكتاب، وأهم محتوياته وأبوابه وفصوله كما تتضمن إشارة موجزة للفلسفة التي يقوم عليها تأليف الكتاب.

١٢. قائمة المحتويات وتتضمن أبواب الكتاب وفصوله والعناوين الرئيسة والفرعية لموضوعات كل فصل مصحوبة بأرقام صفحاتها. وتأتي القائمة بعد المقدمة حتى تمكن القارىء من استعراض محتويات الكتاب قبل الدخول في تفاصيله.

١٣. تعريف المصطلحات وهي قائمة المصطلحات الأساسية الجديدة التي يضمها الكتاب مجمعة ومرتبة ألف بائياً، ومن المستحسن أن يقترن كل مصطلح بالصفحات التي ورد بها في الكتاب، وأن يكون في نهاية الكتاب.

١٤. قوائم الموضحات ويستحسن أن يتضمن الكتاب في نهايته قائمة بكل الموضحات التي يضمها من أشكال وصور وجداول ورسوم بيانية وخرائط.

١٥. المراجع وتتضمن الكتب والمصادر المختلفة التي تمت الاستعانة بها في تأليف الكتاب، والتي يمكن أن تحقق فائدة في حسن استخدامه من جانب المدرس والطالب.